كيف وجدتُ الفرح الأعظم

قصّة تجديدِ شابٍّ هنديّ

«لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ» (يوحنّا ١٥:١٦)

يؤكّد لنا الربّ في هذا القول أنّه هو الذي يخطو الخطوة الأولى. نحن لا نعرفه أوّلاً، ولا نحن نختاره أوّلاً. أنّه هو الذي يختارنا أوّلاً - ولمّا نقبله سيّداً ومخلّصاً لنا عندئذٍ نفهم ذلك السرّ. وأريد أن أقصّ عليكم كيف اختارني الربّ .

الأيّام الأولى

لقد كنتُ في شبابي أشعر بمرارة شديدة نحو إنجيل المسيح. ذلك بالرغم من أنّني تربّيت في مدرسة إحدى المرسليّات في البنجاب، وصرفتُ هناك سبع سنوات. ولكنّني لم أهتمّ أن أعرف أيّ شيء عن المسيح. ومعظمنا نحن الذين كنّا نتعلّم في المدرسة كنّا نكره المسيحيّين، وكنّا نسخر من مدرسِي الكتاب المقدّس ومن رجال الدين .

صرفتُ في القسم الداخلي خمس سنوات. وكان الهندوس والمسلمون معاً في جناح، وكان المسيحيّون يسكنون في الجناح الآخر. ولا أذكر أنّني زرتُ الجناح المسيحي طول مدّة الخمس سنوات. وهذا يعطيك فكرة عن مقدار كراهيّتي للمسيحيّين .وأنا لا أتذكّر شيئاً ممّا تعلّمته في تلك السنوات، ولكنّني أتذكّر أنّني كنت أكره الأولاد المسيحيّين الذين كانوا يدرسون معي. وكان معظمنا نحن الهندوسيّين يتحامل على المسلمين ويشكّ فيهم. وبينما كنّا نلعب مع الأولاد المسلمين ونتكلّم معهم بكلّ حريّة، فإنّني لا أتذكّر أبداً أنّنا صادقنا الأولاد المسيحيّين .

حلم

وحدث أن قُدّم إليّ كتاب مقدّس كهديّة بعد أن نجحت في امتحان القسم الإبتدائي. فمزّقتُ محتويات الكتاب واحتفظت بالغلاف الذي كان من الجلد الجميل. وفي مرحلتَي الإبتدائيّ والثانويّ بقيت عدوّاً لدوداً لإنجيل المسيح، وبقيت محافظاً ومتمسّكاً بديانتي. وكنتُ أصرف ساعات كثيرة في معابد السيخ أمارس كلّ الفروض الدينيّة .

وربّما يعرف بعضكم بأنّ السيخ مشهورون بخدمتهم الإجتماعيّة. ولقد قمتُ بالكثير من تلك الخدمات، ولكنّي لا أستطيع أن أقول بأنّني حصلتُ على أيّ شيء من الفرح الحقيقيّ وأنا أقوم بتلك الخدمات. وفي سنِي الدراسة تعوّدت أن أرى حلماً .كنتُ أحلم أنّني أتسلّق تلّة عالية ومنحدرة. وكنت بكلّ صعوبة، وبكثير من الصراع، أصل إلى القمّة. وكنتُ كلّما وصلت إلى القمّة

جاءني شخص ودفعني إلى أسفل. وبينما كنت أنحدر إلى أسفل كانت الصخور تمزّق ضلوعي. وكذلك كنت أتألّم كثيراً لدرجة أنّني كنت أصرخ. وعندما كنت أصحو كنت أجد نفسي نائماً على المخدّات الناعمة الحريريّة التي كنت أغوص فيها لشدّة نعومتها. وكان هذا النوم على المخدّات الناعمة يمنحني شعوراً سماويّاً. وكنت أقول بأنّه إذا كان المرء يستطيع أن يحصل على فرح كهذا من المخدّات الحريريّة فعليه أن يتحمّل بكلّ سرور كلّ الألم الذي يرافق الانحدار من فوق التلّة .

رأيتُ هذا الحلم وأنا في التاسعة أو العاشرة من عمري. ورأيته ثانية بعد تجديدي. وقال لي الصوت: »هذه هي شهادتك .«

طموح

وكأيّ تلميذ كان لي طموحي وكانت لي مُثُلي العليا. وكان بعضها عالياً جدّاً وكان بعضها منخفضاً جدّاً، وبعضها شريفاً وبعضها غير شريف. وأستطيع أن أقول بكلّ تواضع بأنّني حقّقتُ كلّ ما كنت أحلم به وأرغب فيه. وكان ذلك كثيراً ولكنّني لم أترك رغبة واحدة لم أحقّقها .ويمكن تشبيه جهودي وخططي لإشباع رغباتي بتسلّق التلّة المنحدرة كثيراً. فإنّني في كلّ فرصة لإشباع النفس وتحقيق الرغبة كنتُ أُصاب بالفشل والأوهام. والفشل والأمل الكاذب يرمز لهما سقوطي من فوق التلّة .

ولكن جاء اليوم الذي أختبرتُ فيه لذّة النوم على المخدّات الحريريّة الناعمة. وكان ذلك اليوم لمّا دخل روح يسوع المسيح في قلبي فأحياني .

كنتُ أطمح في الذهاب إلى أنجلترا، وأن أسافر حول العالم وأن أحصل على تعليم عالٍ، وأن أتمتّع بمصاحبة جميع أجناس الناس، وأن أظلّ أميناً لديني . وكذلك كنتُ أرغب رغبة صادقة في أن ألبس الملابس الفاخرة وأن آكل الطعام الفاخر. ولم تتحقّق هذه الرغبات وأنا صغير السنّ، ولكنّها تحقّقت بعد ذلك، واستطعتُ أن أشبع رغباتي جميعها .

لم يكن أبي موافقاً أبداً على ذهابي إلى أنكلترا. وقال لي أنّه مستعدّ أن يدفع لي أيّ مبلغ من المال إذا لم أذهب. لقد كان يريدني أن أساعده في أعماله. كان قد شيّد مصنعاً جديداً للنسيج، وأخبرني أنّه كان يعتمد عليّ كابنه الأكبر لمساعدته. ولكنّني كنتُ دائماً أصرّ على وجوب ذهابي إلى أنجلترا .

وبعد أن حصلتُ على درجة البكلوريوس، حزنتُ جدّاً لأنّ أبي رفض أن يسمح لي بالذهاب إلى أنجلترا، خاصّة وأنّه لم يكن هناك شيء آخر يعوّضني عن ذلك. كان لي خمسة أخوة وكانت أمّي تحبّني أكثر من باقي أخوتي. وقالت لي »سأساعدك على الذهاب إلى أنجلترا، ولكن عدني أن لا تغيّر دينك. إنّني سمعتُ أنّ الأولاد الذين يذهبون إلى أنجلترا يغيّرون دينهم«. وقلتُ لأمّي »هل تعتقدين بحقّ أنّني سأغيّر ديني؟ »قلتُ ذلك لأنّني كنتُ أفاخر بديني السيخي. ولمّا أكّدتُ لها صدقي وإخلاصي أقنعتْ أبي أن يسمح لي

بالذهاب. ولمّا كان أبي رجل أعمال فأنّه كان يفكّر كثيراً في المال .أمّا أمّي فإنّها بالنسبة لأنّها كانت سيّدة متديّنة فإنّها كانت تفكّر في الدين .وقال لي أبي رغم ذلك بأنّه سيحاول أن يرسل إليّ كلّ المال الذي أحتاج إليه. ووعدتُ أنا أن أقتصد في معيشتي بقدر الإمكان .

أنجلترا

وفي سبتمبر سنة ١٩٢٦ وصلتُ أنجلترا والتحقتُ بكلّيّة الهندسة بلندن. ولمّا دخلت اكتشفتُ أنّه في الإمكان أن يعيش الفرد بكلّ ارتياح على ٨٠ روبيّة شهريّاً. ولذلك أخبرتُ صديقي بأنّني سأكتب إلى والدي بِأن لا يرسل لي أكثر من ثمانين روبيّة شهريّاً. وقال لي صديقي »لا تستعجل! انتظر بضعة شهور قليلة وأنت تعرف كلّ شيء«. وقبلت نصيحته. ونتيجة لذلك كنتُ مضطرّاً أن أرسل حسابات مزوّرة. وتعوّدتُ أن أكتب إلى أبي بأنّني صرفت ٢٩٥ روبيّة وكذا من كسر الروبيّة هذا الشهر. وكان ذلك بالرغم من أنّني صرفت فعلاً روبيّة فقط .وبعد سبعة شهور على هذه الطريقة أستطعتُ أن أوفّر ٢٠٠ روبيّة في بعض الشهور و٢٥٠ روبيّة في بعض الشهور الأخرى. وأتذكّر أنّ رصيدي في البنك في آخر المدّة وصل إلى 1600 روبيّة .

وبقيت أميناً لديني مدّة الشهور الثلاثة الأولى لإقامتي في أنجلترا .فاحتفظتُ بشعري الطويل ولحيتي، فإنّ السيخ لا يقصّون أبداً الشعر النابت في أيّ جزء من الجسم. ثمّ تغيّر اعتقادي في الاحتفاظ بلحية طويلة وشعر رأسي طويل. ولكن لم تكن لديّ الشجاعة الكافية لِأن أقصّه. وبقي الحال على ما كان عليه مدّة ستّة شهور .وذلك لأنّني كنت أخاف ممّا يقوله أصدقائي إذا أنا حلقت ذقني. وأخيراً فكّرتُ في حلّ. قلتُ لصديق لي بأنّني سأقصّ شعري تدريجيّاً. فأقصّ بعضه اليوم، وأقصّ بعضه يوماً آخر، وفي شهر أكون قد تخلّصت من شعري كلّه. وفكّرتُ أنّني بذلك لا أشعر بالخجل. ولكن الذي فعله صديقي هو أنّه قصّ لحيتي من جانب وترك الجانب الآخر. ولذلك قلتُ له »خير لك أن تقصّه كلّه«. ولمّا أصبحت حليق اللحية تماماً أصبحت كافراً، واشتراكيّاً. وقلت أنّه في إمكاني الآن أن أكون أوروبيّاً بمعنى الكلمةّشّوبدأت أدخّن، وذلك بالرغم من أنّني كسيخ لم أمسّ التبغ بالمرّة. وبدأت أشتري السجاير الغالية. واشتريت علبة ذهبيّة للسجاير وكنت أفخر باطلاع كلّ شخص عليها. والشيء الذي تعلّمتُه بعد ذلك، كان شرب الخمر. ثمّ أصبحت أشتري الملابس الغالية جداً: فأدفع 400 روبيّة ثمن للبدلة الواحدة، وحوالي ٣٥ روبيّة للقميص، و٢٠ روبيّة لرباط الرقبة، و٥٠ روبيّة للحذاء. وبذلك صرفت كلّ ما وفّرتُه في مدّة الشهور السبعة في شهر واحد .وعندئذٍ علمت لماذا قال لي صديقي بأن لا أستعجل .

ستار الثقافة

وبصعوبة كبيرة تعلّمتُ كلّ العادات والتقاليد الغربيّة ومع أنّني لم أتلذّذ قطّ بطعامهم، ولكنّني تعلّمتُ أن آكل بالشوكة والسكّين. وكنت أواظب على الذهاب إلى المسارح والسينمات وصالات الرقص. وكان عليّ أن أتقن كلّ

شيء. وبمعنىً آخر كان عليّ أن أعمل كما كانوا يعملون وأن أعيش كما كانوا يعيشون وبقيت على هذه الحال ما يقرب من سنتين .

وقبل أن أنهي دراساتي بقليل سألت نفسي: ماذا ربحت في أنجلترا؟ كنتُ أعرف أنّني تعلّمت أن ألبس رباط الرقبة (كرافاتا) وأن ألمّع حذائي، وأن أرتّب شعري، وأن أقول »شكرا« و»متأسف« مرّات كثيرة كلّ يوم. ذلك لأنّك كلّما أكثرت من هاتين الكلمتين قال الناس أنّك مثقّف ومهذّب. وتعلّمتُ أيضاً أن أتمشّى مع المودة وأن أشرب كما يشربون. وبمعنى آخر تعلّمتُ كيف أعبد جسدي ثمّ أخذت أسأل نفسي هل أنا الآن أكثر سعادة ممّا كنت عليه أوّلاً؟ لكنّ عقلي كان يقول لي أنّني صرتُ أردأ جداً، لأنّني أصبحت أكثر حبّاً لذاتي، وأكثر كبرياء وشرهاً. ثمّ أنّ احترام الوالدين كان قد تلاشى تماماً وتعلّمت أن أكذب بتأدّب وأن أخدع والدي. وتعلّمت كذلك أنّ الشخص يستطيع أن يعمل الشرّ ما دام يعمله في الخفاء وفي السرّ .

باطل الأباطيل

سافرت إلى كلّ أنحاء أنجلترا وأوربا وزرتُ المتاحف ومعارض الفنون الجميلة والقصور حيث الصور الشهيرة وأكلتُ وجبات فاخرة. واتّخذت لي أصدقاء من الأغنياء والفقراء، والعال والدون .واشتركتُ في نشاطات إجتماعيّة، وانغمستُ في الملذّات وحصلت على أكبر قسط من التعليم طمعتُ فيه. ومع ذلك كلّه فإنّني كنت غير سعيد. فافتكرتُ أنّ ذلك راجع ربما إلى أنّني لم أكن متحضّراً تماماً. ولذلك بدأت أسأل أصدقائي الإنجليز واحداً واحداً هذا السؤال »هل أنت سعيد؟« قدّمتُ هذا السؤال إلى الأساتذة والطلبة والموظّفين. كنتُ أقول لهم: »أنّ لكم أطفالاً حلوين وبيوتاً جميلة، ومنتزهات متّسعة، ويمكنكم أن تحصلوا على كلّ شيء تقريباً للتسلية والمتعة فهل أنتم سعداء؟« وبالرغم من ذلك كلّه لم أستطع أن أتقابل مع أيّ شخص سعيد حقّاً. ولذلك قلتُ لنفسي بأنّ العالم كلّه« باطل الأباطيل .»

كنت أفتكر بأنّه إذا دخلت المدنيّة والحضارة الهند فإنّها سوف تصبح سماءً. كما أنّ الوسائل الحديثة للمحافظة على الصحّة سوف تمحو كلّ الشرور من الهند .والآن وجدتُ أنّ أنجلترا نفسها لا يمكنها أن تتخلّص من شرورها بواسطة التعليم وقواعد الصحّة. وبالعكس رأيت في أنجلترا شروراً أكثر ممّا في الهند. فاقتنعتُ أنّ الثقافة والتعليم لن يحلاّ تلك المشكلة. وتعوّدتُ أن أنظر إلى المشكلة بهذه الطريقة: أنّ الرجل الفقير في الهند يستعمل خرقة متّسخة ليغطّي جروحه، بينما الرجل الغنيّ في أنجلترا يغطّي جروحه برباط ناصع البياض طوله ثلاث ياردات. والمعروف أنّ هذا الرباط لا يقدر أن ينظّف الصديد والوساخة التي يخفيها .

زيارة كندا

وفي سنة ١٩٢٨ فكّرتْ فرقة من الطلبة أن تزور كَنَدا في العطلة. ورغبتُ في الذهاب معهم، ولكنّ السكريتير لم يسمح لي بالذهاب وقال »أنّ الأمريكيّين لا يعرفون كيف يعاملون الهنود«. ولذلك نصحني أن لا أذهب مع الفريق. فأخبرته

أنّني مستعدّ لتقبّل أيّ نوع من المعاملة .ولحقتُ بالطلبة وهم في السفينة مقرّراً في نفسي أن أتظاهر بأنّني أستطيع أن أعمل أيّ شيء يعملونه هم. ولمّا كانت الجماعة كبيرة على سطح السفينة كانوا يستخدمون كلّ وسائل التسلية، وبدأت أشترك معهم في كلّ شيء .

وفي العاشر من أوغسطس سنة ١٩٢٨ رأيت إعلاناً عن إجتماع للصلاة يُقام في صالون طعام الدرجة الأولى. وقلتُ لنفسي ما دام إخواني ورفقائي سيذهبون إلى الإجتماع فإنّه ينبغي عليّ أن أذهب. ولكن اعتراني خوف لأنّني لم أدخل كنيسة من قبل .ورغم ذلك قلت لنفسي: »لقد ذهبتُ إلى قصور الصور، وإلى صالونات السكر والرقص ولم يصبني أيّ ضرر وأفتكر أنّ مكان العبادة المسيحيّ كذلك لا يضرّني«. وعلاوة على ذلك كنتُ قد سمعت أنّ صالة الطعام للدرجة الأولى مكان فخم جدّاً، وافتكرت أنّها فرصة طيّبة لأراها. وذ أقنعتُ نفسي بهذه الحجج ذهبت وجلست في أحد المقاعد الأخيرة .

وعندما وقفوا جميعاً للترنيم وقفتُ أنا أيضاً. وعندما جلسوا جلستُ أنا أيضاً. وعندما بدأ الوعظ نعست لأنّني لم أرد أن أسمع. ولمّا انتهت العظة ركعوا جميعهم ليصلّوا وكنت أنا الشخص الوحيد الذي ظلّ جالساً على كرسيّه. كنتُ أقول لنفسي« أنّ هؤلاء الناس لا يعرفون شيئاً عن الدين. إنّهم استغلّوا بلادي ورأيتهم يأكلون ويشربون. ماذا عساهم يعرفون؟ وفوق الكلّ فإنّ ديانتي هي أفضل الديانات«. وهكذا منعتني كبريائي الوطنيّة والعقليّة والدينيّة من الركوع، ورغبت في الخروج. ولكنّني وجدت رجلاً راكعاً على يميني وآخر على يساري، وقلتُ أنّه لا يصحّ أن أزعجهما. ومع ذلك لم أستطع أن أركع. ثمّ بدأت أقول »لقد ذهبتُ إلى مساجد المسلمين وإلى هياكل الهندوس. لقد خلعتُ حذائي وغسلتُ قدميّ لكي أعلن احترامي لتلك الأماكن. ويجب عليّ أن أحترم هذا المكان أيضاً من قبيل التأدّب«. وتغلّبت على كبريائي الوطنيّة والعقليّة والدينيّة وركعت .

اسم يسوع

أرجو أن تعلم أيّها القارئ أنّ هذه كانت أوّل مرّة أشترك في عبادة مسيحيّة. ولم أكن قد قرأت الكتاب المقدّس من قبل. ولم يحدّثني أحد عن خلاص نفسي. وعندما ركعت شعرت بتغيير كبير في داخلي.. كان جسمي كلّه يرتعش.. كنت أشعر بقوّة إلهيّة تدخل فيّ وترفعني. وأوّل تغيير لاحظته في نفسي هو الفرح الذي فاض في داخلي والتغيير الثاني هو أنني كنت أكرّر اسم يسوع. وابتدأتُ أقول »أيّها الربّ يسوع! ليتبارك اسمك، ليتبارك اسمك، ليتبارك اسمك«. وأصبح أسم يسوع حلو جدّاً لي، وقبل ذلك كنتُ أحتقر ذلك الإسم، وفي أثناء المباحثات والمناقشات كنت أسخر به .

ورأيت تغييراً آخر وهو أنّني شعرت بأنّني أصبحت كأيّ شخص من الأوروبيّين وفي أثناء إقامتي في لندن لم أشعر قطّ بأنّني مساوٍ لهم. بعض الأوقات كنت أشعر أنّني أعظم منهم، وفي بعض الأوقات الأخرى كنتُ أشعر أنّني أقلّ منهم .فعندما كنت أتكلّم مع الإنجليز كنت أشعر أنّني أسمى منهم. وكنت

أقول بأنّني أنتمي إلى بلاد قديمة عريقة لها ثقافة قديمة عريقة ولكنّني لمّا كنت أتكلّم مع الهنود كنت أشعر بحقارتي، وكنت أقول بأنّنا لا نعرف كيف نأكل أو نلبس كما يجب. ولكن هذه هي المرّة الأولى التي شعرت فيها بأنّني مساوٍ لهم تماماً .

مسيحيّة بدون فرح

ومكثنا ثلاثة شهور في كندا. وسافرنا كثيراً، ثمّ رجعنا إلى أنجلترا. وهناك قرّرت أن أذهب إلى الكنيسة .وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ حضرت أوّل إجتماع يُقام داخل كنيسة ولمّا خرج الناس بعد العبادة بدأت أنظر إليهم، ولكنّني لم أستطع أن أجد أيّ علامات للفرح على وجوههم .فقلتُ »لا بدّ أنّ أولئك الناس حضروا لجنازة«. ذلك لأنّني لم أستطع أن أفهم لماذا كان يبدو على وجوههم هذا القدر الكبير من الوقار. شعرت أنّ هناك شيئاً غير صواب لأنّني كنت أعتقد أنّ الذين يعرفون يسوع يجب أن يكونوا سعداء جدّاً. ومن ذلك اليوم امتنعت عن الذهاب إلى الكنيسة أيّام الآحاد، واكتفيت بالذهاب باقي أيّام الأسبوع الأخرى حين كانت الكنيسة تكون فارغة تقريباً. وتوجد في مدينة لندن كنائس قديمة فخمة وهناك كنت أجلس ساعات على المقاعد الخالية، وكنت أشعر بسلام عظيم .

حياة جديدة

مرّ عام ولكنّني لم أحدّث أحد قطّ عن اختباري المسيحيّ.. ولم تكن لديّ الشجاعة لأفعل ذلك. أمّا الرغبة في التدخين وشرب الخمر فقد فارقتني. لم يطلب منّي أحد أن أبطّل ذلك، ولكنّني كنت سعيداً جدّاً فلم أشعر بالحاجة إلى منبِّهات .

وفي سنة ١٩٢٩ رجعت إلى كندا. وكان عليّ أن أذهب هناك لكي أتمّم دراسة منهج الهندسة الزراعيّة. كان عليّ أن أصرف بعض الوقت في المصانع حيث ينتجون الآلات الزراعيّة. وكان عليّ أن أذهب إلى المزارع حيث تُستعمَل تلك الآلات .

وفي شهر ديسمبر أتيت إلى مدينة وينبيج. وفي ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٩ قلتُ لصديق لي: هل تستطيع أن تسلّفني كتاباً مقدّساً؟ ونظر إليّ باستغراب شديد وقال« أنت الهنديّ الهندوسيّ تريد أن تقرأ الكتاب المقدّس؟« وأجبته قائلاً »أنت على حق.. إنّ هاتين اليدين قد مزّقتا كتاباً مقدّساً، وهاتين الشفتين جدّفتا على المسيح. لكنّني لمدّة الثمانية عشر شهراً الماضية كنت أحبّ الربّ يسوع حبّاً شديداً. إنّني أحبّ اسمه ورنينه حلو في أذنيّ ولكنّني لا أعرف شيئاً عن حياته وتعاليمه. ووضع الصديق يده في جيبه وأعطاني العهد الجديد وحفظته معي منذ ذلك اليوم إلى الآن. وكان ذلك هو أوّل إنجيل جيب امتلكته. أخذتُ نسخة العهد الجديد إلى غرفتي وبدأت أقرأ في بشارة متّى. وواصلت القراءة حتّى الثالثة صباحاً إذ كنت قد انهمكت في قراءة كلمة الله. وفي الصباح وجدت الأرض كلّها مغطّاة بالثلج وبقيت كلّ اليوم في الفراش ولم أعمل شيئاً إلاّ القراءة في الإنجيل .

التبكيت على الخطيّة

وفي اليوم التالي كنت أقرأ في بشارة يوحنّا الأصحاح الثالث. وعندما وصلت إلى العدد الثالث وقفت عند الجزء الأوّل منه. إنّ كلماته القائلة »الحقّ الحقّ أقول لكم« وبّختْني وبمجرّد أن قرأت هذه الكلمات بدأ قلبي يضرب بأكثر سرعة. وشعرت أنّ شخصاً كان يقف بجانبي قائلاً لي المرّة بعد الأخرى: »الحقّ الحقّ أقول لك« لقد تعوّدتُ أن أقول أنّ الكتاب المقدّس ملك للغربيّين، ولكنّ الصوت قال لي »الحقّ الحقّ أقول لك .«

ولم أشعر في أيّ وقت من حياتي بخجل مثل شعوري في ذلك الوقت.. أنّ كلّ كلمات التجديف التي تعوّدتُ أن أنطق بها ضدّ المسيح جاءت أمامي.. وكلّ خطاياي في سنوات القسم الإبتدائيّ والكلّيّة مرّت أمام ذهني. وتعلّمتُ لأوّل مرّة بأنّني كنت أعظم الخطاة.. واكتشفتُ أنّ قلبي شرّير وفاسد. كما أنّ حسدي لأصدقائي أو أعدائي وأيّ شرور فيّ، كلّها اتّضحت أمامي. أنّ والديّ كانا يعتقدان بأنّني ولد طيّب، وأصدقائي كانوا يعتبرونني صديقاً مُخلصاً، والعالم اعتبرني عضواً صالحاً في الهيئة الإجتماعيّة. لكنّني إذ وجدتُ يسوع عرفت حقيقة نفسي وكانت الدموع تتساقط على وجنتيّ. وكنت أقول »يا سيّد اغفر لي.. حقّاً إنّني خاطئ كبير«. ولمدّة من الزمن كنت أشعر أنّه لا يوجد رجاء لخاطئ كبير مثلي. وبينما كنت أصرخ قال الصوت ثانية: »هذا هو دمي المسفوك من أجلكم، هذا هو دمي المسفوك لغفران خطاياك«. ولقد عرفت أنّ دم يسوع وحده هو الذي يستطيع أن يمحو خطاياي. لم أكن أعرف كيف يتمّ ذلك، ولكنّني عرفت فقط أنّ دم يسوع يقدر أن يخلّصني، لم أقدر أن أشرح الأمر ولكن فرحاً وسلاماً جاءا إلى نفسي، وتأكّدت أنّ كلّ خطاياي قد غُفِرَت. وعرفت أنّ الربّ يسوع قد ملك على قلبي .واكتفيت بأن أستمرّ في تقديم الشكر لله .

وبعد يومين جاء إليّ نفس ذلك الصديق وقال »جاء وقت عيد الميلاد ومن عادتنا أن نقدّم لأصدقائنا بعض الهدايا« وقلتُ »أرجوك أن لا تقدّم لي أيّ هدايا .«وذلك لأنّه لم يكن لديّ أيّ نقود لأردّ له الهديّة. ولكنّه أصرّ فقلت له »حسناً وإذا كنت تريد أن تقدّم لي هديّة اعطني الكتاب المقدّس، لأنّه ليس عندي سوى العهد الجديد«. وأخذني إلى المكتبة وقال لي: »اختر أنت ما يعجبك«. وأهداني الكتاب المقدّس الذي معي الآن، الكتاب الذي أحبّه أكثر من أيّ شيء آخر، والذي هو أغلى ما أمتلك .ورجعت إلى غرفتي وبدأت بقراءة سفر التكوين وانشغلتُ بقراءة الكتاب لدرجة أنّني كنت أصرف بعض المرّات ١٤ ساعة وأنا متمدّد أقرأ فيه. وفي ٢٢ من فبراير سنة ١٩٣٠ أتممت قراءة كلّ الكتاب، وفي نفس الوقت درست العهد الجديد عدّة مرّات. ثمّ أعدتُ قراءة الكتاب المقدّس مرّة ثانية وثالثة. وأوقفت قراءة الجرائد والمجلّات والروايات. قبلت الكتاب المقدّس ككلمة الله من أوّل عبارة من سفر التكوين إلى آخر عبارة في سفر الرؤيا ولم يخامرني شكّ من جهة أيّ عبارة .

شفاء

كنت من قبل أستغرب لماذا يتمتّع بعض المسيحيّين بالفرح بينما البعض الآخر ليس لهم فرح. ولكنّني بعد ذلك وجدت أنّ الآخرين كان لديهم بعض الشكوك من جهة الكتاب المقدّس، ولذلك لم يكن لهم فرح حقيقيّ. وقبل ذلك لم أكن أفهم الشرور التي كنت ألاحظها حولي، لكنّ الكتاب المقدّس حلّ كلّ المشاكل. ولمدّة سنتين واصلت قراءة الكتاب المقدّس، وفي أثناء قراءتي الثانية مررت بالعدد ٨ من عبرانيّين ١٣ »يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد«. وكنت أتألّم من التهاب بالأنف لازمني سنوات عديدة. واستشرت أحسن الأطبّاء الإنجليز ولكنّني لم أنتفع شيئاً. وكذلك ضعف نظري. ولذلك صلّيت قائلاً »يا ربّ! ألا تسمح بشفاء أنفي وحلقي وتعطيني بصراً؟« وفي الصباح عندما استيقظت من النوم وجدت أنّني شفيت، وما كان أعظم فرحي! وأعلن لي ذلك حقيقة القول بأنّ ربّي يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. ومنذ ذلك الوقت منحني الله امتياز الصلاة لأجل شفاء الكثيرين، واستجاب الربّ صلواتي بطريقة عجيبة .

دعوة للخدمة

وفي الرابع من فبراير سنة ١٩٣٢ تعمّدت في فانكوفر بكندا وبعد المعموديّة كنت أنتقل من مكان إلى مكان أشهد للمسيح. وفي أثناء الأسبوع الأوّل من أبريل سنة ١٩٣٢ دُعِيت لألقي محاضرة عن الهند. وفي نهاية الاجتماع انهالت عليّ الأسئلة، مثل: ما هو رأيك في العمل التبشيريّ في الهند؟« وبدأت أنتقد العمل بشدّة. وعندما عدتُ إلى غرفتي وركعتُ لأصلّي وجدت أنّني لا أستطيع الصلاة. وقال لي الصوت »من أنت حتّى تتدخّل في عملي؟ أنّك تريد الآخرين أن يضحّوا أمّا أنت فتريد أن ترجع إلى الهند كمهندس وتحيا حياة رغد وراحة«. واخترقت هذه الكلمات قلبي كسيف وكانت كلمات حقّ. فلقد كانت لي خطط كثيرة بأن أرجع كمهندس. وكنت قد قلت أنّني سأعطي كلّ أموالي لعمل الربّ. ولكنّ الصوت قال لي »أنّني لا أريد مالك.. أنا أريدك أنت«. وفي ذلك الصباح ركعت وطلبت الصفح وقلت »أيّها السيّد الربّ، هل تقبلني؟ أنا مستعدّ بأن أذهب إلى أيّ مكان في الهند أو الصين، أو أفريقيا. إنّني أترك كلّ شيء من أجلك: الأصدقاء، والأهل، والممتلكات«. وقال الربّ: عليك أن تعيش بالإيمان. وعليك أن لا تطلب أيّ شيء من أيّ شخص، لا الأصدقاء ولا الأقارب، يجب أن لا تطلب شيئاً حتّى فنجان قهوة. وليس عليك أن تضع أيّ خطط«. وقلت »يا سيّد، أنّك من جهة تريدني أن لا أطالب بممتلكاتي وبيتي، ومن الجهة الأخرى تريدني بكلّ بساطة أن أحيا حياة الإيمان، فمَن إذاً سيهتمّ بسدّ احتياجاتي؟« وقال الربّ: »ليس هذا شغلك« وبالرغم من مرور ستّ سنوات على ذلك أستطيع أن أشهد لمجد الله بأنّني لم أطلب شيئاً قطّ من أيّ إنسان، ولا حتّى أحسن أصدقائي .ولكنّ الربّ كان يملأ كلّ احتياجاتي بغنى وفيض. وبقيت في أمريكا كمبشّر لمدّة سنة، وذلك لأنّي طلّقتُ كلّ خططي بأن أصبح مهندساً .

الشهادة في الوطن

وفي ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ كتبت لأبي أخبره بتجديدي وفي ١٥ من نوفمبر صلّيت إلى الربّ حتّى يرسل شخصاً إلى أبي ليشرح له خطابي. ذلك لأنّ الخطاب كان طويلاً ونقلت فيه آيات من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. وفي نفس اليوم ذهب والدي لمقابلة مرسل أمريكيّ في بلدنا الأصليّة. وفي يوم ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٣٢، عندما استلم أبي خطابي، ذهب ثانية إلى نفس المرسَل الذي تعرّف إليه واختلط به، وقال له »وصلني هذا الخطاب الذي يحوي كثيراً من الاقتباسات من الكتاب المقدّس. هل يمكنك أن تشرحها لي؟« وأعطاه المرسَل نسخة من الكتاب المقدّس بلغة الأردو وأوضح له كيف يعرف بنفسه مكان الاقتباسات. وبعد الاطّلاع على كلّ الاقتباسات تأكّد بأنّ تجديدي كان بناء على اقتناعي التامّ، وكتب إليّ قائلاً بأنّه ليس لديه أيّ اعتراض، وأنّه كان مسروراً بأن يعرف أنّني مسرور في عقيدتي الجديدة .

وفي اليوم السادس من أبريل سنة ١٩٣٣ وصلت بومبي بعد غياب سبع سنوات .وجاء أبي وأمّي لمقابلتي. ولمّا نزلت من السفينة كان أوّل شيء قاله لي أبي: »أنّ أمّك وأنا فقط اللذان نعرف عن تجديدك.. هل يمكنك، من فضلك، أن تحتفظ بهذا الأمر سرّاً وتدعو نفسك سيخاً من أجل شرف العائلة؟ يمكنك أن تقرأ الكتاب المقدّس وأن تذهب إلى الكنيسة ولكن لا تخبر أحداً بأنّك مسيحيّ«. وقلتُ »هل أستطيع أن أعيش بدون تنفّس؟ إذا كان المسيح هو حياتي فكيف يمكنني أن أعيش بدونه؟« وأخبرت أبي بأنّني وهبت كلّ حياتي ليسوع. وسألني: »هل تنوي أن تصبح مرسَلاً أم قسّيساً؟« فأجبتُهُ »لا هذا ولا ذاك« وقال والدي: »إذا كنت لا تنفعنا فلماذا لا تنفع نفسك؟ إنّك إذا أصبحت قسّيساً أو مرسلاً فإنّ البعض، على الأقلّ، سوف يحترمونك. ولكنّك عندما تذهب من مكان إلى مكان فمَن يسمع لك؟ وكيف تعول نفسك؟« فشرحتُ له كيف أنّ الله اختارني لهذا العمل، ولكنّه لم يستطع أن يفهم، وقال »إذا كنتَ لا تستطيع أن تحفظ الأمر سرّاً، فأنّك لن تدخل بيتي وعليك أن ترجع لبلدك. وهكذا تركني أبي وأمّي في بومبي. وبدأت أعمل بعض العمل المسيحيّ هناك .

وبعد أسبوعين أو ثلاثة حصلت على خطاب من أختي. كتبت إليّ تقول »سمعت بأنّك رجعت. وأرجوك أن تحضر وتقابلني« ولم تكن تعرف بأنّني صرتُ مسيحياً. وكانت تظنّ أنّني كنت فقط أحاول أن أجد عملاً في بومبي. فذهبت إلى كراتشي لأراها. ولمّا رأتني أختي أبشّر في السوق وأذهب إلى الكنيسة كتبت إلى أبي قائلة »الأمر أصبح خطيراً، ويجب أن تحضر حالاً .«

وحضر أبي ألى كراتشي بسرعة. وفي نفس المساء عقدنا إجتماعاً عائليّاً. اجتمعتْ أختي وزوجها وإخوتي وأبي. وغضبت أختي جدّاً وبدأت تسيء إليّ . قالت لي »لقد تركت ديانة رفيعة وشريفة، وصرتَ متشرّداً«. فقلت »تقولون أنّني أردأ من متشرّد لأنّكم لا تستطيعون أن تروا قلبي. ولقد أخبرني الربّ يسوع بأنّني أعظم الخطاة«. ولمّا قلتُ ذلك، زاد غضب أختي كثيراً وبدأتْ تقول بعض الكلمات ضد المسيح .وطلب منّي أبي كتابي المقدّس بلغة الأردو فأعطيته له. وبدأ يقرأ من العهد الجديد بعض الفصول المعيّنة فقالت أختي »إنّني أرسلت إليك لكي تأتي وتزجر ابنك ولكنّك تبشّر بالمسيح«. وردّ أبي قائلاً »ليس من حقّكم أن تقولوا أيّ شيء ضدّ الربّ يسوع لأنّكم لا تعرفون

شيئاً عنه. قولوا ما تريدون ضدّ أخيكم، ولكن لا تقولوا شيئاً ضدّ المسيح«. واندهش الجميع ثمّ انتهى الإجتماع .

تجديد أبي

وفي اليوم التالي حضر أبي إجتماع الكنيسة. وبعد الإجتماع كنّا نسير في الشارع، وتقابلنا مع رجل من السيخ كان لي شرف هدايته إلى المسيح. وأخبر أبي باختباره. وقال له أبي بأنّه عندما تركني في بومبي شعر بأنّه غير سعيد. ولذلك ذهب إلى بعض الصادهو ورجال الدين وسألهم كيف يحصل على السلام الحقيقي. ولكنّهم جميعهم قالوا أنّ ذلك مطلب عسير التحقيق . وحدث أن مرّ أبي في أحد أيّام الآحاد بكنيسة في لاهور وكانت العبادة على وشك أن تبتدئ. فدخل دون أن يلاحظه أحد بنوع خاصّ. وجلس في أحد المقاعد الخلفيّة. وبمجرّد أن بدأت الخدمة رأى نوراً عظيماً. وإذ رأى النور الباهر يلمع صرخ »أيّها الربّ، أنت مخلّصي أنا أيضاً«. وشعر بسلام عظيم يغمره .

وقبل ترك كراتشي قال لي أبي »تستطيع أن تأتي إلى البيت متى أردت .« فذهبت إلى البيت. وجاء كلّ أصدقائي وأقاربي لمقابلتي وأخذوا يلومونني من الصباح حتّى المساء. وكان لكلّ رجل وسيّدة ما يقوله. ومع ذلك فأنّني بقيت صامتاً .

وبعد ذلك قال لي أبي »لماذا لا تقدّم شهادتك في الكنيسة؟« ولكنّ القسّيس الهندي، راعي الكنيسة المحلّيّة لم يوافق على ذلك وقال »أنّ لك كثيراً من الأقارب والأصدقاء في المدينة، وهذا العمل سوف يكون خطيراً فلا بدّ أنّهم يحدثون اضطراباً«. وقلت »أنا مستعدٌ لكلّ شيء«. وهكذا كان، وشهدت في الكنيسة الجديدة حيث كانت تُعَد الإجتماعات، وكان يحضرها أناس من كلّ الطبقات. ولم يكن هناك مقاعد ولا أماكن خالية لا في الخارج ولا في الداخل. هناك قدّمتُ شهادتي. وبعد أن أنصرف الإجتماع، اجتمع كثيرون حولي وقالوا: »إنّنا نريد أن نسألك بعض الأسئلة«. فقلت« وأنا أرحّب بأسئلتكم .«

وكان أوّل سؤال هو »هل تسمح لك ديانتك بأن تعصى والديك؟« وتلاه الأسئلة: هل تسمح لك محبّتك أن تخيّب آمال والديك؟ »عندما صرف والدك ٢٥٠٠٠ روبيّة على تعليمك كان واجبك بالتأكيد يقضي عليك أن تنتظر موافقته قبل أن تصبح مسيحيّاً« .»انظر إلى أبيك فإنّ قلبه منكسر.. هل تسمّي هذا محبّة؟« وكنتُ على وشك أن أردّ عليهم لولا أنّ أبي تكلّم. وقال بأعلى صوت ممكن، رغم أنّ صوته قويّ ومرتفع كصوتي تماماً، قال »إنّني لستُ منكسر القلب بأيّ حال. ولماذا تحشرون أسمي؟ أنا مقتنع أنّ ابني يتمتّع بالسلام الحقيقيّ. وقبل أن تسألوا أيّ أسئلة أخرى أريد أن أعرف إن كان هناك شخص من بين الواقفين يستطيع أن يقول أنّ لديه السلام الأبديّ في داخله. أنا أعلم أنّ ابني له السلام الحقيقيّ. أرجوك أن تتقدّم إلى الأمام يا مَن لك ذلك السلام. واعلموا أنّني لن أسمح لأحد أن يسأل أيّة أسئلة ما لم يكن له

السلام الحقيقيّ«. ولمّا سمع الناس تلك الكلمات نظروا إلى والدي وإليّ، وانصرفوا واحداً بعد الآخَر .

ومنذ ذلك الوقت سعدت بزيارة بلدتي مرّات كثيرة، وعقدت اجتماعات كثيرة في الكنيسة المحلّيّة. وذهبت الكراهية القديمة التي كانت فيهم. وعلى وجه التحديد وُلِد أبي ثانية وهو يشهد للمسيح. وهو أمين ومخلص جدّاً ولكنّه لم يعتمد بعد، وهو يقول أنّه ينتظر أمّي. وكانت أمّي متديّنة جدّاً تقول بأنّها أعطت ابناً للربّ يسوع وأنّها تؤمن بيسوع. وحدث أن أُصيبت أمّي بحمّة التيفود. وأحضر أخي طبيباً إنجليزيّاً ليعالجها. وبعد خروجه قالت أمّي »إنّني لا أريد دواء من أيّ نوع .صلّوا فأنال الشفاء«. وفي تلك الليلة شفاها الربّ. واستمرّ أبي يقرأ لها من الكتاب المقدّس كلّ يوم وهي تصغي بانتباه. ولكنّها لم تولد ثانية حتّى كتابة هذا الكتاب .هل أطمع في صلواتكم من أجلها؟ أنّ أبي قد وُلِد الميلاد الثاني، وأحد أخوتي الصغار تعمّد .

«فَمَعَ أَنَّهُ لَا يُزْهِرُ التِّينُ، وَلَا يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ، يَكْذِبُ عَمَلُ الزَّيْتُونَةِ، وَالْحُقُولُ لَا تَصْنَعُ طَعَاماً .يَنْقَطِعُ الْغَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ، وَلَا بَقَرَ فِي الْمَذَاوِدِ، فَإِنِّي أَبْتَهِجُ بِالرَّبِّ وَأَفْرَحُ بِإِلَهِ خَلَاصِي« (حبقوق ٣:١٧-١٨ .(

كان لي الشرف بأن أعمّد أبي في ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ في مدراس في جنوب الهند. ولقد انتقل إلى المجد في يوم ٣ من يوليو سنة ١٩٤٦ .

الولادة الجديدة

كثيراً ما نندهش كيف أنّنا ندرك حضور الله المستمرّ، وكيف نعرف مشيئة الله الكاملة، وكيف نصير واسطة لخلاص الأحبّاء والأصدقاء والجيران والأعداء. »كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجاً« (يوحنّا .(6:37 والربّ يسوع المسيح يؤكّد لنا في تلك الكلمات بأنّه يرحّب بكلّ شخص يريد أن يعرف وأن يجعله ملكاً على حياته. ولذلك فأنّ الدعوة تُقدَّم إلى التعابى منكم بالخطيّة والهموم العالميّة بأن يأتوا إلى يسوع الآن بدون تردّد. وهل تسمح لي أن أخبرك بأنّ قوّات الشرّ سوف تبدأ بغرس الشكوك والمخاوف والهواجس في قلبك منذ اللحظة الأولى التي فيها تفكّر أن تأتي إلى الربّ يسوع المسيح؟ ولكنّنا نحصل على اليقين من نفس السيّد الربّ الذي يقول »دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ« متّى ٢٨:١٨). وكذلك نجد في إرميا ٢٩:١٣ القول »وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ«. ثمّ يقول السيّد« :اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ« يوحنّا ٦:٤٧). وكلّ المطلوب منك هو أن تسجد له وتؤمن به، وهو يعطيك الحياة الأبديّة المقدّمة للجميع مجّاناً. »لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللّٰهِ »أفسس ٢:٨ .(

وهكذا أيّها القارئ العزيز، إذا كان الروح القدس قد أنّبك وعنّفك على خطيّتك وطبيعتك الشرّيرة، فلا تخف من جميع الشكوك والمخاوف التي وضعها العدوّ في ذهنك. اقبل الربّ يسوع في قلبك وهو يأتي إليك كرجاء المجد. »الَّذِينَ

أَرَادَ اللّهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الْأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ« كولوسي ١:٢٧ .(

إنّ دخول الربّ يسوع المسيح وسكنه في قلوبنا يُسمّى »الولادة الجديدة« أنّه الإختبار البسيط بقبول الربّ يسوع المسيح في قلوبنا. يقول الربّ يسوع «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي « يا .(3:20 والربّ يسوع لن يدخل بالقوّة إلى قلوبنا. فإذا سمعت صوته فأرجوك أن لا تقسّي قلبك. وتأكّد أنّ نفس اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكتاب هي الوقت المناسب لخلاصك .لأنّه يقول »فِي وَقْتٍ مَقْبُولٍ سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلَاصٍ أَعَنْتُكَ .»هُوَذَا الْآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الْآنَ يَوْمُ خَلَاصٍ« كورنثوس الثانية .(6:2

وإذ كنت لا تطيع صوته الآن فإنّ قلبك يصبح أقسى، والنور الذي ترفضه يصبح ظلاماً. إنّ روح الله لا يبقى دائماً في الإنسان. »فَقَالَ الرَّبُّ: »لَا يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ« تكوين ٦:٣). إنّ روح الله كان دائماً يجاهد معك.. كان يضع أمامك كلّ خطاياك وفساد طبيعتك البشريّة الخاطئة .وتذكّر أنّه في يوم ما عظامك نفسها ستبتدئ تتعفّن بفساد الخطيئة. وتذكّر أنّ الخطيّة التي تخفيها بلباس الثقافة والمدنيّة والآداب والعادات والابتسامات والكلمات الناعمة. هذه الخطيّة سوف تنكشف في أحد الأيّام. »فَلَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلَا خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ« لوقا ١٢:٢). والناس في كلّ العصور وفي كلّ العالَم اجتهدوا أن يغطّوا خطاياهم. تأمّل الأبرص أنّه ربّما ينجح في إخفاء برصه في دوره الأوّل، ولكن في يوم ما سوف ينتشر البرص ويظهر على أصابع يديه ورجليه وأجزاء أخرى من جسمه وبنفس الطريقة فإنّ خطايانا تُكشَف للنور بواسطة عينَي الله الفاحصتين. ولذلك اسمح لي أن أتضرّع إليك أن تركع على ركبتيك وتردّد هذه الكلمات قدّام الربّ »اخْتَبِرْنِي يَا اَللّهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً« مزمور ١٣٩:٢٣ و٢٤ .(

وحالما تركع وتقول تلك الكلمات كن مستعدّاً أن تكسر كبرياءك، وأن تقتلع جذور خطيّتك بواسطة دم المسيح الثمين. ولمّا يضع الروح القدس قدّامك الخطايا التي ارتكبتَها منذ طفولتك، اعترف بها مردّداً هذه الكلمات »أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: »أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي »وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي« (مزمور ٣٢:٥ .(

اعتراف

والاعتراف معناه التواضع. ولا يستطيع الله أن يستثني أحداً. وما لم نعترف بخطايانا ونحن على ركبنا، وما لم نعترف بخطايانا كلّها، فإنّ شيئاً من الكبرياء يبقى في قلوبنا. والله لا يدخل إلى القلب المتكبّر »لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الْأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ: »فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ، وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لِأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَلِأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنْسَحِقِينَ« (إشعياء .(57:15 وكلّما اقتربنا أكثر من الربّ كلّما أدركنا أكثر مقدار فساد طبيعتنا. إنّ أيّوب لمّا رأى الله قال هذه الكلمات »بِسَمْعِ الْأُذُنِ قَدْ

سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالْآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. لِذلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ« أيّوب ٤٢:٥ و٦ .(

وبعد الاعتراف يجب أن نكون مستعدّين أن نقبل رئيس السلام في قلوبنا . وفي نفس اللحظة التي نقبله ربّاً لنا نصبح أولاده. »أَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ« يوحنا ١:١٢). وهكذا فإنّ الإيمان باسم الربّ يسوع المسيح يعني قبوله ربّاً وملكاً في قلوبنا وهو يغسل ويمحو خطايانا بدمه. ونحن نُجتَذَب قريباً منه بواسطة دمه: »وَلكِنِ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ »أفسس ٢:١٣). »فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللّهَ الْحَ« (عبرانيّين ٩:١٤ .(

نصرة مثلّثة

وطالما بقي ضميرنا غير مطهّر فأنّنا لا نقدر أن نهزم الخطيّة ولذلك، يا عزيزي، حالما تقبل بالإيمان دم الربّ يسوع المسيح لتطهير الخطيّة فإنّك تصبح حرّاً من عبوديّة الخطيّة وعبوديّة الفساد. وحينئذٍ تُمنَح حرّيّة من كلّ أنواع الخوف. وأعلمُ أنّه توجد ثلاثة أشياء مقدّمة لنا كهبات مجّانيّة، نتيجة لقبولنا الربّ يسوع المسيح مخلّصاً شخصيّاً لنا :

النصرة على العالَم

الهبة الأولى هي النصرة على العالم: »لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللّهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ . وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا« يوحنّا الأولى .(5:4

النصرة على الخطيّة

والهبة الثانية هي النصرة على الخطيّة: »نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللّهِ لَا يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللّهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لَا يَمَسُّهُ »يوحنّا الأولى ٥:١٨ .(

النصرة على الموت

والهبة الثالثة هي النصرة على الموت »أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ. وَلكِنْ شُكْراً لِلّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ« كورنثوس الأولى ١٥:٥٦ و٥٧ .(

وعندما نحصل على هذه الهبات الثلاثة فإنّنا نصبح شركاء في العمل مع الربّ يسوع المسيح »فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلَانِ مَعَ اللّهِ، وَأَنْتُمْ فَلَاحَةُ اللّهِ، بِنَاءُ اللّهِ« (كورنثوس الأولى ٣:٩). وإذ نصبح عاملين معه فإنّنا نملك معه »وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ« أفسس ٢:٦). والذين

يصبحون في العمل مع المسيح يصبحون أيضاً ورثة لملكوته السماويّ ولكلّ شيء »إِذاً لَا يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ: أَبُولُسُ، أَمْ أَبُلُّوسُ، أَمْ صَفَا، أَمِ الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ، أَمِ الْأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ، أَمِ الْمُسْتَقْبَلَةُ. كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ لِلّٰهِ« كورنثوس الأولى ٣:٢١-٢٣). وإذ يصبح فينا اليقين بامتلاك هذه الأشياء كلّها يكون لنا سلام كامل داخل قلوبنا »سَلَاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ« يوحنّا ١٤:٢٧ .(

عزيزي القارئ

عزيزي القارئ! إنّني أدعوك بأن تقبل الآن، وفي هذه اللحظة، هذه الكلمات باسم الربّ يسوع المسيح. وعندما تقرأ هذه الكلمات اركع على ركبتيك معترفاً به ربّاً للأرباب، ورئيساً للسلام، وملكاً للملوك، وصديقك الشخصيّ. وأنا أستطيع أن أقول عن اختبار شخصيّ بأنّه لا يوجد فرح في العالم يساوي الفرح الذي نحصل عليه عندما يدخل المسيح في قلوبنا ويسكن فيها .أنّ المسيح يحلّ كلّ مشاكلي، ويجيب على أسئلتي، ويحمل أثقالي، ويعطيني القدرة لأتغلّب على التجارب، ويقدّرني على أن أشرك الآخرين معي في أفراحي. وفي نفس الوقت فإنّ المسيح أعطاني شرف التحدّث اليه والسير معه كلّ خطوات حياتي. فهل تقبله أنت مخلّصاً وربّاً لك هذا اليوم بالذات؟ الربّ يباركك. وأسأل الله أن يمنحك فهماً لأسراره الخفيّة، وإيماناً بسيطاً لتعلن أشياء عظيمة عن الإله العظيم .